جامعة أبي بكر بلقايد –تلمسان

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم العلوم الاجتماعية – شعبة الأنثروبولوجيا

مقياس النظريات الأنثروبولوجية الحديثة السنة الثانية ليسانس/ الأستاذ بشير محمد

السداسي الأول السنة الجامعية 2021/2020

المحاور الأساسية☹(السداسي الأول والثاني)

***التدريس الحضوري:**

–موضوع ومنهج الأنثروبولوجيا

– المحطات الأساسية في تاريخ الأنثروبولوجيا

– بعض أهم الإشكاليات الأنثروبولوجية الحديثة

المحاضرات بالمنصة:

– تعريف الثقافة

– إشكالية مفهوم الثقافة

– طبيعة موضوع وطريقة البحث الأنثروبولوجي

السداسي الثاني:

1– النظرية الأنثروبولوجية التطورية

2– النظرية الأنثروبولوجية الانتشارية

3– النظرية الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية

4– نظرية انثروبولوجيا الأنظمة الدينية والرمزية

5–نظرية أنثروبولوجيا الوسط الحضري والصناعي

أ. أنثروبولوجيا الوسط الحضري

ب. أنثروبولوجيا الوسط الصناعي

6– القاعدة الابستيمولوجية المعتمدة

المحاضرة الخامسة والسادسة: تعريف الثقافة:

-يعرف الثقافة E.B.TYLOR"الثقافة أو الحضارة بمعناها الاثنوغرافي الواسع هي ذلك المجموع المعقد الذي يحتوي على المعارف والاعتقادات والفن والقانون والأخلاق والتقاليد وكل الاستعدادات(الكفاءات) والعادات التي يكتسبها الإنسان بصفته عضوا في المجتمع".

- تعريف "غي روشي" "Guy ROCHER "الثقافة هي مجموعة من طرق التفكير والإحساس والعمل المعقدة إلى حد ما، معلومة ومتقاسمة من طرف عدد كبير من الأشخاص تساعد بطريقة موضوعية ورمزية في الوقت ذاته وتجعل من هؤلاء الأشخاص جماعة خصوصية".

الخصائص الأربعة الأساسية:

1-تتوجه إلى كل النشاط الإنساني، إنها سلوك، أي نمط حياة.

2-هي منظمة في قواعد، في أشكال طقوسية وفي حفلات...

3-يتقاسمها عدد كبير من الأفراد

4-هي مكتسبة

إشكالية مفهوم الثقافة[1]

سنتناول مفهوم الثقافة بوصفها مفهوما نظريا بدلا من تناولها من حيث حقولها وتجلياتها التطبيقية.وبعد هذه الملاحظة، نقول إن نتائج استنبطت بناء على طرح سؤالين نعتبرهما أساسين:

1-هل تعرف الثقافة بطريقة مسبقة أم يستنتج تعريفها من خلال إجراء البحث في حد ذاته؟

2-ما هي العلاقة المؤسساتية بين الثقافية الرسمية والثقافة؟

يعتبر مفهوم الثقافة من المفاهيم الأكثر تناولا واهتماما من طرف الباحثين سواء كان ذلك في الاختصاص الواحد او في مختلف الاختصاصات التي لها علاقة بالموضوع الذي وصف بالدغل

[1] -بشير محمد(**شخصي**) ،مقدمة في علم الاجتماع العام من خلال فكر غي روشي تقديم وحوصلة تركيبية مع أمثلة مرفقة بدراسات،كنوز الإنتاج والنشر والتوزيع،2009.

التصوري([2]). انه من أكثر المفاهيم غموضا وتشعبا وتعقيدا إذ اكتسب معناه الفكري في أوروبا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر. ولقد عنت الكلمة الفرنسية في القرون الوسطى الطقوس الدينية ولم تعبر عن الفلاحة إلا في القرن التاسع عشر.

إن ما هو موجود في المعاجم الكلاسيكية من معنى لهذا المصطلح في القرن الثامن عشر تعبير عن التقدم الفكري للشخص خاصة وعما يتطلبه ذلك من عمل وما ينتج عنه من تطبيقات. ولقد أضفي على هذا المصطلح بعد انتقاله إلى ألمانيا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ولأول مرة مضمونا جماعيا،إذ أصبح يدل عن التقدم الفكري الذي يحصل عليه الفرد أو المجموعات أو المجتمعات بعامة ([3]). ففي خضم التشعب الكبير هذا لوجهات النظر تجاه هذا المصطلح طرح إشكالا أساسيا في العشرية الأخيرة فقط مفاده حيرة الباحثين في كيفية التعامل معه.

المحاضرة السابعة:

1-هل تعرف الثقافة مسبقا أم تستنتج من خلال البحث في حد ذاته؟

إن مرجعية طرح هذا السؤال راجع إلى كثرة البحوث النظرية والتطبيقية.، هذه البحوث التي دفعت بـ "ألفرد فيبر" مؤسس علم الاجتماع الثقافي ومبدع صيغة سوسيولوجيا الثقافة إلى تحديد مجالاته في سبعة ميادين([4]) .وبهذا التحديد إن كان تحديدا نلاحظ استمرارية الإشكال المطروح سابقا إن لم نقل قد تفاقم بحيث أن التعارف المقترحة في المائة سنة الأخيرة عل أقل تقدير بلغت حدا من التنوع يصعب معه الاتفاق على تعريف واحد من طرف الباحثين المهتمين بالموضوع، الظاهرة التي أبرزها إلى الوجود علما الأنثروبولوجيا الأمركيان" كروبير" و"كلوكهون" إذ صنفا منذ أكثر من ربع قرن ما لا يقل عن مائة وثلاثة وستين تعريفا للثقافة ([5]) ولم يجدا من بينه تعريفا مقبولا.

ومع هذا يظهر ضمن هذه التيبولوجية المقترحة تعريف يمكن الأخذ به ولو بطريقة تربوية، إذ أنه ألأكثر اتفاقا عليه، هذا التعريف الذي صاغه "غي روشي " من تعريف تيلور معتبرا إياه:" مجموعة

---

[2]- VALADE B. In traité de sociologie Paris, PUF, 1992, P463.,

[3]-الطاهر لبيب،سوسيولوجيا الثقافة، الدار البيضاء ،دار قرطبة للطباعة والنشر، الطبعة2،1986.

[4]-أنظر محمد السويدي، مفاهيم علم الاجتماع ومصطلحا ته **الجزائر، تونس، الدار** التونسية للنشر، 1991.

[5]VALADE B. Op cit, P461.-

مترابطة من أساليب التفكير والإحساس والعمل المتشابكة إلى حد ما تتعلمها وتشترك فيه جماعة من الأشخاص يكونون مجموعة خاصة متميزة" ([6]).يساعدنا هاجس الأخذ بهذا التعريف حين شرحه إلقاء الضوء على المميزات الأربعة الأساسية التي يتفق عليها جل الأنثروبولوجيين وعلماء الاجتماع حول مفهوم الثقافة([7]).

إن الأخذ بهذا التعريف لا يحل الإشكال أيضا حتى وان كان عليه شبه إجماع، وحتى وان أكد "مارسل موص" انه :" يجب على علم الاجتماع كأي علم آخر أن يبدأ الدراسة كل ظاهرة انطلاقا من تعريف، نفترض قبل كل إشارة تحديد حقل البحث حتى نعرف عن ماذا نحن نتكلم؟ ([8]).يوحي هذا التأكيد بأن منطق البحوث في ميدان الثقافة لا يزال لم يتعد مرحلة التعارف، إلا أن المشكلة هي استمرارية تعدد هذه التعارف–كما أشرنا إلى ذلك سابقا– ولكن إذا طالعنا أحدث البحوث في هذا المجال نلاحظ ظهور منهج جديد يتجنب هذه الصعوبة بطريقة علمية وبالتالي حل الإشكال المطروح سابقا، إذ أن "سيدني فاربه" في محاولته اشتقاق مفهوم الثقافة السياسية من الثقافة العامة توصل إلى أن خلاصة الكلام في هذا الباب هو ما يمكن أن نضبطه ونحدده من خلال إجراء البحث في حد ذاته، إذ قال :"لا يمكن تحقيق الفصل بين الثقافة السياسية والنظام الثقافي بعامة إلا بواسطة أسلوب تحليلي"([9])، المنهج الذي أكدته كذلك "ازمبارت" حين فصلت في هذه المسالة قائلة:" يبقى السؤال مفتوحا حول الأشكال والمضامين التي نجدها،انه لمن المنهج السيئ والخاطئ تعريفها مسبقا.إن هذا المنفذ معمول به عند عدد من المؤرخين"([10]).

---

[6]-ترجمة الطاهر لبيب، مرجع سابق، ص 6.

[7]- ROCHER Guy, Introduction à la sociologie générale ,Tome 1,Paris,Coll.Points, 1986.

[8] -MAUSS Marcel ,Essai de sociologie, Paris, Ed. Du Seuil, 1971, P30.

[9] -S.VERBA cité par M.BENAISSA in Processus d'édification national Algérien, Université de Toulouse, Tome 1, 1989, P39.

[10] -ISAMBERT F.A, Le sens du sacré :fête et religion populaire, Paris, Ed. de Minuit, 1982,P 39.

المحاضرة الثامنة:

2- ما هي العلاقة المؤسساتية بين الثقافة الرسمية والثقافة الشعبية؟

إن من أبرز من عرفوا الثقافة الشعبية "جاك أيان" قائلا:" أصبحت فكرة الثقافة الشعبية مودة، زيادة على أنها اليوم موضوع معرفة في فرنسا –أنا أتكلم عن هذا البلد فقط- إن هذه الظاهرة الجديدة ونستطيع القول أنه مع نهاية السبعينيات فقط دخل مصطلح الثقافة الشعبية الميدان الثقافي والعلمي" ([11]).يعني هذا الإبراز أن الثقافة الشعبية كان عليها ضغط وتهميش كموضوع بحث من حيث غموضه وتهميشه، الظاهرة التي أكدها "رينه كايس":" لا يظهر تعبير المجموعات التي تجربتها بعيدة عن تجربة المجموعات التي تنتج القواميس مع أنه يوجد منذ قرن تفكير عمالي حول التربية والثقافة ولا نجد أي تسجيل في أي قاموس لعناصر هذا التعريف.

أن ما هو مسجل هي التعاريف المعترف بها والموافق عليها من خلال التصورات المهيمنة على مفهوم الثقافة في مجتمعنا"([12]). ولقد عرفها "بيار بورديو" بصفة موضوعية،وبهذه الموضوعية أثبتها كمادة سياسية إذ قال:" يجب أن نعلم أننا عندما نتكلم عن الثقافة الشعبية فنحن نتكلم عن السياسة" ([13]).وبهذا التعريف عقد "بورديو" المسألة تعقيدا كبيرا، إذ أضفى عليها الطابع السياسي.

بناء على ما سبق تعبر الثقافة الشعبية عن علاقة هيمنة فئة اجتماعية أو فئات أخرى وكادت هذه الهيمنة أن تبوح عن مبررها المتمثل في انعدام الثقافة لدى الشعب، إذ أن هذا الأخير عادة ما يوصف كما لاحظ ذلك "فرناد دومان":" كفئة تعيش على أساس الاعتقاد في الغيبيات، فئة تعتمد المشاركة والانغماس في الطبيعة والجماعة بدل اعتماد العقل والمنطق والاختيارات والاقتناعات الحرة والمنهجية" ([14]).إن هذه العلاقة لا زالت قائمة مع العلم أن هناك دراسات عديدة تناولت الثقافة الشعبية مفندة هذا الطرح، هذه الدراسات التي لخصها "فلاد" في قوله :"إن تقارير ملتقى نانت 1983التي خصصت لها- الثقافة في الجمع- اقتحمت رصيدا وثائقيا كان غير معروف ومهمل منذ زمن طويل، هذا الرصيد

[11] -ION J. Du savoir de la république aux cultures populaires In culture et société contemporaines, Québec, presse de l'université du Québec, 1982, P171.
[12] -CAES R. Images de la culture chez les ouvriers Français,
[13]-BOURDIEU P, la sociologie de la culture populaire, In handicap socioculturel en question, Paris, ed.ESF, P118.
[14]-DUMONT F. Sur la genèse de la notion de culture populaire ? Ibid, P28.

المتمثل في الكلام،المهارة،النشاطات،الممارسات الغذائية...الخاصة حسب التدرج بالعمال، بالمنتجين الزراعيين، بالموظفين، بالتجار الصغار...أي بمجموعات اجتماعية وأقاليم خصوصية تهدف إلى تحديد درجة استقلالية هذه الأشكال الثقافية بالنسبة للثقافة العالمية المسيطرة، الشاملة المستعملة كمرجع"([15]).

نعني بهذا الطرح إن الثقافة عند المتكلمين عنها هي ميادين استراحة الفئات العليا في المجتمع مثل الموسيقى الكلاسيكية،الفنون الجميلة والمسرح الكلاسيكي...وتعني من جهة ثانية ما يسمى بالعناصر التخصصية إذ أن هناك أمور لا يعرفها ولا يزاولها إلا العدد القليل من بين أفراد المجتمع، هذه الأمور الناتجة عن الثقافة المدرسية،الثقافة المؤسساتية،أي ما يسمى بالثقافة الرسمية مثل المهندسين،المدرسين والأطباء...أي كل أصحاب المهن المتخصصة، الظاهرة التي قال عنها محمد السويدي:"يطلق على الرجل في الحياة العامة وصف مثقف حين يستطيع التحدث بلغات غير لغته الأصلية وحين يكون ملما بالتاريخ والآداب والفلسفة والفنون الجميلة.ويكون وصفه بالمثقف في بعض الأوساط أضيق إذ هو الشخص الذي بإمكانه التحدث عن أرسطو أو ابن خلدون أو برناردشو" ([16]). إذن تعني الثقافة من هذه الزاوية كل ما هو أنيق ويعني في المقابل مصطلح الشعب كل ما هو خشن...إنها نظرة سلبية ترتكز على الوجه المغترب، اليائس، اللامنطقي، بكلمة واحدة إنها نظرة ترتكز على الخصائص المضعفة بل تذهب إلى أبعد من هذا لتصف هذه الفئة بالبدائية والبسيطة.و في هذا المجال يمكن أن نضيف بعض عناصر المعادلة متناقضة الطرفين والمتمثلة في الإنسان المثقف وغير المثقف، في المتعلم وغير المتعلم ،في المتحضر وغير المتحضر، الراقي و البدوي "المتخلف"...لقد لاحظ هذه الثنائية المتناقضة"فرناد دومان" حين أكد:"معارضة داخلية تقسم الثقافة منذ وقت طويل إلى أشكال وتسميات عديدة:الثنائية بين الاعتقاد واعتماد العقل، بين الشفهية والكتابة، بين العقلية المنطقية والعقلية اللامنطقية، بين الثقافة الجماهيرية والثقافة الراقية"([17]).

---

[15]-VALADE B. Op Cit, P483.

[16]-السويدي محمد، المرجع **السابق**، ص22.

[17]-DUMONT F, Op Cit, P22.

المحاضرة التاسعة:

3-منوال تسلسل العلاقة العلمية بين الثقافة الشعبية وعلاقتها بالثقافة الرسمية:

- يتمثل الدال في علاقة تسلط الفئات العليا في المجتمع -حسب المراحل التاريخية-على باقي الفئات الدنيا في المجتمع.

-ويتمثل المدلول في أن الثقافة تعني مفهوم الجمال والرقي والمنطق...وهي صفات تتميز بها فئات على حساب فئات أخرى حسب التصور السائد.

ولكن يظهر من خلال هذه المناقشة بكل وضوح ان هذا المدلول تبني خاطئ بحيث أننا قد أظهرنا بأن هذا الطرح غير مقنع ويصبح هذا المدلول حينئذ حكم سطحي ،ومن ثم يتطلب منا تحديد المدلول الحقيقي.ويتحدد المدلول الحقيقي في وجود الثقافة الشعبية إذ كل ما هنالك لا يتعدى أن يكون تجاهلا لهذه الثقافة من طرف أصحاب المقولات السارية المفعول حتى السبعينيات حسب مقولة "جاك أيان"، هؤلاء الباحثين المنتمين مباشرة إلى الفئات العليا في المجتمع.

وبعد كل ما تقدم وتفاديا لتعاريف أخرى وقفنا على تعريف الثقافة بعامة على لسان "محمد السويدي" حين قال:"يقصد بكلمة ثقافة في الأنثروبولوجيا مجموعة طرائق الحياة لدى شعب معين،أي الميراث الاجتماعي الذي يحصل عليه الفرد من مجموعته التي يعيش فيها...فبمجرد كون الشخص إنسانا، فهو مثقف أي هناك ثقافة بصورة عامة يملكها كل إنسان..."([18]).

إن المقصود بهذا التعريف مجموعة القيم الاجتماعية من مهارات يومية وتقاليد حاضرة وماضية أي أن هناك ربط ومزاوجة بين الشعب والثقافة، مع العلم أنه عادة ما يكون هذان المصطلحان متعارضان بل متنافران، ومع هذا فقد استنبط عناصرها الموضوعية بصفة مطلقة ككل معرفي الثقافة لأن هذا المصطلح يحير أكثر من باحث إذ هو ذو محتويات ومعان كثيرة جدا.لذا نؤكد مع "فليب بنطون":"إن كلمة ثقافة فقدت من وضوحها بقدر ما اشتهرت، وكثيرا ما تظهر كلفظ متقلب يصعب إدراكه، فالكلمة

[18] السويدي محمد، المرجع السابق، ص40.

ضحية نجاحها"([19]).إنها من بين المصطلحات المعقدة والمتشابكة إذ تشمل كموضوع بحث جميع ميادين الممارسات والنشاطات الشعبية كالشغل في الميدان الصناعي وظروف الحياة في الأحياء والقرى ومدى التصورات التي تخلقها هذه المهن وتلك الظروف.

فمما سبق نستنتج أنه لا جدوى من التعريف لفهم مصطلح الثقافة إذ أنه حسب العناصر المكونة لها لا تحل الأشكال باعتبارها غير كافية، لذا نظن أن الممارسات الثقافية الشعبية لا يمكن أن تفهم إلا بربطها بعلاقة الصراع والهيمنة بين الفئات الاجتماعية.بكلمة أخرى نريد القول أنه لفهم هذه المسألة، كفكرة ، كمصطلح نظري يجب طرحه كعلقة اجتماعية بين المهيمن والمهيمن عليه.ولكي نتعدى هذا المحور المتدرج من خلال الكلمتين السابقتين–عليا/دنيا–لابد من تحطيم المبرر الذي يقتضي انعدام الثقافة لدى الشعب،فقد سبق لعدد من الباحثين الإشارة لقدرة الشعب على التظاهرات الثقافية، كان يجب الوقوف عليها حتى تأخذ هذه الصفة، ومن ثم أمكننا نعتها بالثقافة .

يمكننا القول مما سبق أن للشعب ثقافة من حيث أنه زيادة على اللغة، مواقف، اعتقادات، معارف، تصورات، رموز وقيم...يعبر عنها بواسطة الحكم،الأمثال الشعبية وبتعابير تميزه عن غيره حتى وان كانت ثقافته هذه، مهمشة، غير مرغوب فيها إن لم نقل مضطهدة في أغلب الأحيان.فلقد أدى عدم الاعتناء بهذه الثقافة من طرف الفئات المهمشة لها إلى فشل النماذج المفروضة على الشعب لأنه لم يستشر في بلورتها وتطويرها، إذ أصبحت هذه النماذج خاضعة لمفهوم النفوذ والسيطرة الثقافية بين الطبقات وذلك على المستويين الاجتماعي– الثقافي وحتى السياسي وبذلك نكون قد كسرنا العلاقة القائمة بين الدال والمدلول حول مفهوم الثقافة.

-[19]-BENETON Ph, Contribution à l’histoire d’un mot, Thèse, Ronéo, Paris, 1973.

المحاضرة العاشرة وحادية عشر:طبيعة موضوع وطريقة البحث الأنثروبولوجي :

يعدّ «منذر كيلاني» من بين أبرز المساهمين في القيام بحوصلة شبه متكاملة للأنثروبولوجيا تعلق الأمر بتاريخها أو بحاضرها. لقد اعتمدنا عليه في تحديد أهم عناصر موضوع وطريقة هذا الفرع العلمي ومن بين أهم هذه العناصر نورد ما يلي:

تهتم الأنثروبولوجيا بالوحدات الاجتماعية والثقافية محدودة الحجم أي الوحدات البسيطة وضرورة ربطها في علاقتها بالإطار الأوسع الذي يحتويها ويشملها ، تعالج هذه الوحدات في إطار جدلية المستوى المحلي والمستوي الكلي (الشمولي) اللتين تتميزان بتجانسهما الداخلي (تجانس ثقافي) والخارجي (مقارنة مع وحدات أخرى) .

تساهم مكانة موضوع البحث في الأنتروبولوجيا بدون شك في إعطاءه الاستقلالية النسبية ونموذجية لأن اختيار الموضوع يقوم على أساس تباينه مع المجتمع الكلي، لذا يتم هذا الاختيار بهدف إضاءة المجتمع الكلي على خلاف الاختيار الارتجالي أو الاعتباطي . وفي السياق نفسه يمكن التركيز على أن هذا الموضوع يتميز بتباينه مع ما هو سائد من قيم وممارسات وليس من خلال طبيعته القديمة كما أنه يتسم بمميزات مغايرة لتلك المميزات التي يتسم بها الباحث الأنثروبولوجي .

ولعل ما تهدف إليه الدراسة الأنثروبولوجية في خضم التطور التاريخي للمجتمعات هو مدى قدرتها على إدراك اللامتغير،الدائم (le permanent بدلا من العابر والمؤقت (le provisoire). وللتدليل على ذلك يمكن أن نسيق بعض الأمثلة التوضيحية المرتبطة بالمجتمع الجزائري حول هذه المسألة بالذات، ويمكن ذكر فيما يخص الظواهر اللامتغيرة أي تلك التي تعمّر لزمن طويل منها، الدين والتدين ، الشعبوبة، المساواتية ، الشفهية ، النيف ، الطابع التضامني ، الاستقلالية النسبية عن المركز،الرغبة في الإعتراف من طرف الغير بعامة والمسؤول بخاصة ، نموذج الزواج الأصلي والمجتمع ألذكوري.....أما بالنسبة للظواهر العابرة والمؤقتة يمكن الإشارة إلى مواضيع مثل العمل المأجور ومركزيته، الأنانية والجموح عن العمل...

ويكن أيضا رصد لغرض التوضيح مواضيع بحث وجيهة ، أصبحت الأنثروبولوجيا مطالبة بالتفكير فيها في الوقت الحاضر، ويتمثل في المستوي المحلي والمستوي الكوني بمعي أنها مواضيع أضحت تهتم

بالجنس البشري وكذا المجتمعات البشرية التي يمكن حصرها في اللغيرية (الأنا والأخر) ، العلاقة بين التقليدي (المحلي) والمعاصر (الحداثي). هذه الجدلية التي تترتب عنها ظاهرة الاستعارة الثقافية وما يتبعها من تلاقح ثقافي أو «تقاطب ثقافي» مهما كانت تداعياته .نقصد بالتداعيات على سبيل المثال، كيفية التفكير في الحداثة حاضرا في مجتمعاتنا المحلية و المجتمعات المتطورة أي التفكير في الوحدة والاختلاف عند الجنس البشري . ونرمي من وراء الإشارة إلى هذه الإشكالية إلى فكرة التجانس من جهة وبروز الخصوصيات الثقافية كانت دينية أو إثنية من جهة أخري.

وبناءا على ذلك نصل مع "ف. لبلانتين» إلى القواسم المشتركة بين الأجناس البشرية أي قدرتهم على الاختلاف فيما بينهم .ويظهر ذلك في الأعراف واللغات وأنماط المعرفة والمؤسسات وحتى الألعاب المتباينة ...فممّا لا جدال فيه ، هو أن هناك شيئا طبيعيا يخص الجنس البشري فهو يتمثل أساسا في استعداداتها للاختلاف الثقافي والاجتماعي ، لذا يمكن القول من وجهة نظرنا حتى و إن كنّا على علم بالتباين القائم بين مختلف الإشكاليات المرتبطة بشبكات التحليل الأنثروبولوجية ، أن هناك شبه اتفاق حتى لا نقول اتفاق تام على أن الوجاهة الأنثروبولوجية تتمثل جوهريا في نظرتها الخصوصية والمتميزة المتمثلة في التوضيح الخصوصي أو الرؤية المتميّزة (le type d'éclairage) المضيئة حيث ترتب عن هذه الطريقة –كما يؤكد الباحث نفسه – ثورة إبيستيمولوجية حقيقية والتي تبدأ في الثورة على مستوى النظرة (le regard) ، ممّا تولد عنها انحراف راديكالي بخصوص الانطلاق الدائم من المركز أي انفجار فكر وجود مركز واحد للعالم. لقد ساهم هذا في حدود كبيرة في اكتشاف ظاهرة الغيرية التي عبدت الطريق للبحث في عدم مطابقة الإنسانية الأوروبية على سبيل المثال بالإنسانية جمعاء.

ويمكن التأكد بقوة بخصوص أسس الطريقة الأنثروبولوجية أنها تستعمل تقنيات (أدوات بحث) نوعية منها تقنيات أساسها الشفهية، المقابلة و الملاحظة بالمشاركة الميدانية . يبقي الأنثروبولوجي على المستوى الابيستيمولوجي ،أي على مسافة بعد بين الذّات العارفة وموضوع المعرفة .هذا من جهة، إذ لا يجب إهمال الفكرة الدّاعية إلى امتثال الباحث لخارجانية – كون الشيء خارجي– عن موضوع بحثه، ناهيك عن ابتعاده عن فكرة وجود مركز ينطلق منه فضلا عن تنبيه للمقارنة من جهة ثانية .

تمتاز الطريقة الأنثروبولوجية بنوع التوضيح (الإضاءة) التي تلقيها على موضوع البحث ، فالأنثروبولوجي ينطلق من موقف المُشاهَد (الملاحَظ) لأن «الأنثروبولوجيا هي علم اجتماعي الملاحَظ»

على حد قول «كلود لفي ستراوس» ، أنها أهم ميزة خصّها بها. ولعلّ من أهم ما يجب الابتعاد عنه – قدر المستطاع – منظور المجتمع الكلي ، هذا المنظور الذي ينمي إليه الباحث الأنثروبولوجي ومن ثم ضرورة الابتعاد عن الواقع المؤسساتي (الرسمي) عند بناء إشكالية بحثه، فهو ملزم أكثر من غيره الرفض وبطريقة قطعة الانطلاق من الفرضية الجاهزة والتي يحاول التّدقيق فيها أو التّحقق منها بَعديًا من خلال إجراء التحقيق الميداني كما تفعل بعض العلوم الاجتماعية الأخرى .هكذا نجد الباحث ينطلق من البعد الدّاخلي والديناميك أي البعد اللارسمي والخفي .

من هنا يمكن التّذكير بأن علم الاجتماع في صورته التقليدية المهيمنة بمختلف توجهاتها ، يقف موقف المشاهِد (الملاحِظ) في أغلب الأحيان، أي أنّه ينطلق من منظور المجتمع الكلي والمؤسساتي الذي ينتمى إليه الباحث. لذا نلاحظ أن هذا الصنف من علماء الاجتماع أو بالأحرى المشتغلين في مجال علم الاجتماع ، ينطلقون من فرضيات قد تكون جاهزة ، يراد تدقيقها فقط أو التحقق منها ، إنها محاولة لتطويع الواقع حسب نظرة وقناعة الباحث الخاصة ، الأمر الذي يجعلها تظهر على أنها مسألة متعلقة بتموضع الباحث في إشكاليات نظرية جاهزة يصعب مساءلتها ومن ثم يصعب أيضا تعديها، ويتم كل هذا على أساس الصورة التي حاولنا تشكيلها مع الطريقة التي ينتهجها الأنثروبولوجي .

المراجع:

1-بشير محمد،مقدمة في علم الاجتماع العام من خلال فكر غي روشي، تقديم وحوصلة تركيبية،دار كنوز للنشر والتوزيع،2009.

2-بونتي بيار وايزار ميشال، معجم الأثنولوجيا والأنثروبولوجيا، ترجمة مصباح الصمد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2006.

3-غدنز أنتوني، علم الاجتماع، ترجمة فايز الصياغ، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة 1، 2005.

4-DELIEGE Robert, Une histoire de l'anthropologie, écoles, auteurs, théories, éditions seuil, 2006.

5-KILANI Monder, Introduction à l'anthropologie, éditions Payot Lausanne, 1989.

6-LAPLANTINE François, L'anthropologie, éditions Petite bibliothèque Payot, 2001.

7-LOMBARD Jacques, Introduction à l'anthropologie, éditions Armand Colin, 2° édition, 1998.

مقياس نظريات الأنثروبولوجية الحديثة السنة الثانية ليسانس

الأستاذ بشير محمد /جامعة تلمسان/الجزائر

السداسي الثاني السنة الجامعية 2021/2020

المحاور الأساسية:

1- النظرية الأنثروبولوجية التطورية

2- النظرية الأنثروبولوجية الانتشارية

3- النظرية الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية

4- نظرية انثروبولوجيا الأنظمة الدينية والرمزية

5-نظرية أنثروبولوجيا الوسط الحضري والصناعي

أ. أنثروبولوجيا الوسط الحضري

ب. أنثروبولوجيا الوسط الصناعي

6- طبيعة موضوع وطريقة البحث الأنثروبولوجي

7- القاعدة الابستيمولوجية المعتمدة

المراجع:

لقد فضلنا تقديم المحاضرتين الأولى والثانية على شكل رؤوس أقلام حتى تتضح الفكرة وترسخ في الأذهان،قناعة منا التركيز على العناصر الرئيسية.

المحاضرة الأولى:

أولا:النظرية التطورية:

– يعد **مفهوم "البقايا"** مصطلح أساسي في المنهجية التطورية، إنها المؤسسات، عادات مرحلة معينة وبقوة التعود استمرت في مرحلة أكثر تقدما لحضارة ما، والتي يمكن اعتبارها كبراهين أو شهادات على مراحل سابقة.

– يبقى النمو والتطور في اتجاه واحد، لذا يعد تقدم الإنسانية المرور من البسيط إلى المعقد، من اللاعقلاني إلى العقلاني.

– إذا كانت بعض الشعوب معتبرة في أسفل السلم ، فبإمكانها التطور بناء على مبدأ التطور الكوني الداعي إلى أن كل الشعوب باستطاعتها الوصول إلى المرحلة المتقدمة.من هنا يمكن القول أن المنطق الأساسي الذي يحكم هذا التوجه يتمثل في وحدة الإنسان.

– لا يتمثل الهدف في دراسة هذه الثقافة أو تلك (الخصوصية) على حدى ولكن ضمن كلية الثقافة الإنسانية، لذا يعد منهج ، منهجا مقارنا أي مقارنة مختلف المجتمعات و من ثم إعطاء الأهمية لتشابهاتها أكثر من الاعتناء باختلافاتها.

لويس مورغان(1818–1881):ينقسم تاريخ الإنسانية إلى ثلاث مراحل كبرى:الوحشية ،البربرية والحضارة.

جامس فرازرJames FRAZER(1854-1941):يلخص تاريخ الإنسانية في ثلاث مراحل كبرى :الشعوذة(السحر) ،الدين والعلم.فبخلاف قوانين العلم تعد قوانين الشعوذة، قوانين خيالية لأنها مرتكزة على الوهم.

يرتكز التفكير السحري على نظرية السببية أي أنه ظاهرة طبيعية تليها ظاهرة أخرى دون تدخل سلطة روحانية.

يتكون التفكير السحري من قانونين أساسين:

*قانون المماثلة:ينتج مبدأ المماثلة المماثل.

إن الاعتراف بأن هناك سلطة أكبر من سلطة البشر يعني الإيمان بأن العالم والطبيعة محكومتان ومراقبان بقوة روحانية تتعدى من بعيد قدرات الإنسان.

*قانون الاتصال(contact)

انه يستدعي اللاطبيعي حيث تعتبر سلطته أسمى من سلطة البشر لمساعدته على حل مشاكله.

نقد كلود لفي ستراوس:إن استعمال التطورية تراكم الأحداث المبدأ الأساسي لمنهجها العلمي تحكم على نفسها بالسطحية.إن التطورية في عزلها بعض السمات الثقافية يصعب عليها الفهم الحقيقي لأن كل ثقافة هي بمثابة مجموع متجانس.

ثانيا:النظرية الانتشارية:

- تنطلق من فكرة أن كل مجتمع اخترع مثلا النار، الحديد، الدين، والزراعة...تنتقل هذه الاختراعات والأفكار والسمات الثقافية من محيط إلى محيط في العالم بأسره بواسطة الهجرة أوالطرق التجارية.

- يحاول الأنثروبولوجيون الانتشاريون من جهتهم تحديد أماكن الثقافة وتوضيح كيف تم انتشار هذه السمات من خلال هذه الأماكن، لذا هم يعارضون فكرة أن الإنسان هو فرد ابتكاري.

- يرى التطوريون مثلا أن المرور من مرحلة إلى مرحلة أخرى يتم بواسطة ابتكار وسائل جديدة، أفكار جديدة، مؤسسات لم تكن موجودة، مثلا ابتكار كل مجتمع للنار، للحديد...في الوقت الذي يرى الانتشاريون أن كل ابتكار يأتي من مكان واحد فقط.إن الابتكارات ليست بظواهر منتجة بطرق مستقلة

في أماكن مختلفة في العالم.

– إن التاريخ الحديث مثلا الآلة البخارية، التلغراف، السيارة أو الهاتف هي مؤشرات تفند الفكرة التطورية.

– إن الانتشار ليس بانتشار أوتوماتيكي وأن كل مجتمع يمكنه إجراء انتقاء لبعض العناصر المقترحة إليه من الخارج، كما يمكنه تحوير كل سمة ثقافية دخيلة.

المحاضرة الثانية:

الأثروبولوجية الاجتماعية والثقافية:

– تنطلق من مسلمة مفادها أن أعضاء مجتمع ما يتقاسمون سمات ثقافية مماثلة تجعلهم يتميزون عن غيرهم.إن كل مجتمع يكيف القيم المستعارة من ثقافة ما مع قيمهم الخاصة.

– تركز على الاختلافات الثقافية، إذ بالنسبة إليها تتمثل قدرة الجنس البشري في الاختلاف.يتميز جوهر هذه المدرسة في محاولة ضبط تأثير الثقافة أو ثقافة ما على شخصية أعضاء هذه الثقافة.لذا يبقى من مواضيعها المفضلة التنشئة الاجتماعية.

– تطرح أن هناك علاقة سببية بين الثقافة و شخصية كل أعضاء مجتمع ما، الأعضاء الذين يتقاسمون منذ المراحل الأولى للطفولة نفس التجارب التي تنتهي بتكوين شخصية قاعدية(خصوصية أو مهيمنة).من هنا تؤكد أن مواطني مجتمع ما يتقاسمون سمات نفسية مماثلة تجعلهم يتميزون عن غيرهم.

– إذا استعارت ثقافة ما سمة ثقافية من ثقافة أخرى، فهي تحاول مباشرة تكييفها مع قيمها الخاصة، إن كل ثقافة هي عالم خاص في حد ذاته.

– تتمثل المواضيع الأساسية والجديدة للمدرسة الثقافوية في الاهتمام بالفرد والتنشئة الاجتماعية والطفولة وأخيرا المميزات الوطنية. تهتم بدراسة تجانس المؤسسات مثل الطابع الاندماجي للأسرة والأخلاق وبخاصة الدين.

– يرى بعض الأنثروبولوجيون أن هناك تطابق بين الأنثروبولوجية الاجتماعية وعلم الاجتماع بل هي حتى جزء منه، نظرا لأن المستوى الاجتماعي يتكون من مجموعة العلاقات(علاقات الإنتاج، علاقات الاستغلال وعلاقات الهيمنة...)التي تسخرها الجماعات فيما بينها داخل المجموعة نفسها(أثنية، جهة، وطن...)وفي علاقتها مع مجموعات أخرى هي أيضا متراتبة.

– أصبحت فيما بعد الأنثروبولوجية الثقافية فرع مستقل تماما عن السوسيولوجية، لم تصبح تهتم كثيرا بسير المؤسسات بقدر ما تهتم بسلوكيات الأفراد أنفسهم الذين يظهرون انتمائهم إلى ثقافة ما.

– يعد المستوى الثقافي المستوى الاجتماعي نفسه ولكن من منظور الخصائص المميزة للسلوكيات الفردية لأعضاء جماعة ما وكذا انتاجاتها النموذجية(الحرفية، الفنية، الدينية...).تشترك الأنثروبولوجية الاجتماعية والأنثروبولوجية الثقافية في الموضوع نفسه،حيث تبحث الأولى المستوى الاجتماعي بصفته نظام علاقات اجتماعية بينما تبحث الثانية المستوى نفسه ولكن في تجلياته السلوكية أي الطرق الخصوصية لثقافة ما،كيف نفكر، كيف نتكلم، كيف نجتمع، كيف نلتقي، كيف نعمل، كيف نتسلى ونتعامل مع الأحداث مثل(الولادة، المرض، الموت ...).

– تدرس الأنثروبولوجية الثقافية المستوى الاجتماعي في تطوره بعامة وعلى ضوء سيرورات الاتصال، الانتشار، التفاعل والتثاقف أي التبني أو الرفض لقيم ثقافة ما على ثقافة أخرى. لا يتجلى ثقل الثقافة في الأشكال المتنوعة للسلوكيات و النشاطات التي تضبط بطريقة سهلة من مجتمع إلى مجتمع أخر مثل(التغذية، اللباس، المسكن والألعاب...)فقط وإنما تضبط أيضا من خلال البنيات الاحساسية، الإدراكية والعاطفية المكونة للشخصية في حد ذاتها، إنها "الروح" أو العبقرية لشعب من الشعوب.

– لقد بنا "روت بنديكت"(Ruth BENEDICT) نظريته السهم الثقافي (L'arc culturel) على ضوء أن كل ثقافة تقوم بانتقاء، فهي تثمن جزء محدد من السهم الكبير للدائرة الواسعة من الاحتمالات الثقافية للإنسانية، فهي تشجع بعض التصرفات على حساب أخرى فهي تقوم بعملية انتقاء ثقافي لأن كل أعضاء مجتمع معين يتقاسمون اهتمامات مشتركة.يملك كل واحد منا بداخله كل التوجهات إلا ان الثقافة التي ننتمي إليها تقوم بالانتقاء بمعنى أن كل ثقافة تدفع بالأشخاص إلى التماثل مع قيمها.

– المواضيع الأساسية للأنثروبولوجيا الاجتماعية (بريطانيا):

المورفولوجيا الاجتماعية، السكن، الديمغرافيا، التنظيم الاجتماعي والقانوني(القرابة، النظام الاقتصادي والسياسي).

– المواضيع الأساسية للأنثروبولوجيا الثقافية (الولايات المتحدة الأمريكية):

الظواهر الجمالية(الألعاب، الموسيقى، الرقص، اللغة...)، الدين والقيم.

رابعا:اثروبولوجيا الأنظمة الدينية والرمزية:

– يعد أحد المواضيع المفضلة الدين وأنظمة الاعتقاد، فمنذ البداية اهتمت بوصف وتحليل الظواهر الدينية المجتمعات القديمة والتقليدية ومقارنتها.لقد كانت هذه الدراسات نقطة انطلاق تفكير أكثر عمومية حول العقليات وأشكال التفكير عبر العصور و المجتمعات وفي هذا السياق يمكن ذكر مثلا كتاب "لفي بريال"(Levy BRUHL العقلية البدائية 1922، إذ عارض بين العقلية البدائية والعقلية العقلانية، كما وضّف(C.HALLPIKE 1979 مصطلحات "جان بياجي" J. PIAGET 1970 التفكير ما قبل الإجرائي و التفكير الإجرائي لأدراك التعارض بين التفكير الرمزي للمجتمعات التقليدية والتفكير العلمي للمجتمعات العصرية. وتكلم (K. POPPER انطلاقا من التناقض بين الأسطورة والعقلنة 1945 عن المجتمعات المغلوقة لوصف المجتمعات المطبوعة بالأسطورة والمجتمعات المفتوحة للكلام عن المجتمعات العصرية المطبوعة بالعلم.

– كما تهتم بالانتاجات الرمزية(الحرف) والآداب الشعبي الشفهي(الأساطير، الحكايات،الأمثال الشعبية والخرافات...)و كذا الوسائل التي من خلالها تتأسس بخاصة اللغات دراسة منطق المعارف(الفلسفية،الدينية، الفنية والعلمية) التي توظفها جماعة ما مما يفتح المجال إلى أثروبولوجية المعرفة و ما أصبح يسمى بالآثنو–علم.

خامسا:بعض التوجهات الأثروبولوجية المعاصرة:

نذكر في هذه التوجهات على سبيل المثال :

الأنثروبولوجيا الاقتصادية الأثروبولوجيا السياسية الأثروبولوجيا القانونية

أثروبولوجيا الحياة اليومية أثروبولوجيا الصحة الأثروبولوجيا العمالية ...

– نكتفي بمحاولة التعريف بأحد أهم هذه التوجهات وليكن:

أ–أثروبولوجية الوسط الحضري والصناعي:

لقد اهتمت الأنثروبولوجيا في أوروبا خاصة بالوسط الريفي،بالمجتمع التقليدي أساسا، أن ظروف تطورها في القرن 19أهلها الى أن تكون اختصاص التقليدي و"البقايا".

لقد طوبقت ممارساتها لإدراك التقاليد والعادات المهددة من طرف التحضر،إلا أننا نلاحظ في الوقت الراهن أن الأبحاث الأنثروبولوجية في الوسط الحضري قد تضاعفت.نذكر من بين أهم أسباب هذا التضاعف في ميدان حقل الأنثروبولوجية الحضرية:

- سرعة التمدن في العالم
- صعوبة التحقيقات الميدانية في المجتمعات القديمة
- تعدد التخصصات والفروع في ميدان البحث العلمي وتطبيقاته
- إعادة الاعتبار للمدن التقليدية التي عرفت سرعة كبيرة في التمدن
- وأخيرا، هناك الطلب الاجتماعي متعدد الأوجه الذي خلق مشاريع تملوها السلطات العمومية والجماعات المحلية بهدف الحفاظ على الإرث الوطني والجهوي بهدف إدراك وتحليل عوامل التغير الاجتماعي،القطيعات والانحرافات.كما اهتمت بدراسة الهجرة،الجماعات أو الاثنيات الحضرية المكونة من جديد،كما اهتمت بعوامل تجانسهم أو إعادة إنتاجهم الداخلي بالنسبة لتقنية أو مهنة.

ب–أنثروبولوجيا الوسط الصناعي:

تتمثل أساسا في دراسة ظروف الاختراعات التقنية ونشرها من جهة وكذا المعيقات الاجتماعية والثقافية التي توجهها من جهة أخرى.كما أنها تحاول إبراز التقاليد الاجتماعي والعقليات التي تتماشى والتطور التقني، ناهيك عن تحليل تصورات وممارسات المهن أو الاختصاصات،تنظيم الإنتاج والحياة في العمل داخل المؤسسات(مقاومات، المسؤوليات، السلم الرتبي الرسمي للوظائف والكفاءات...).فهي تهدف إلى إدراك الثقافات الجزئية المبتكرة:إن كل وسط صناعي يلد:

معرفة تقنية واجتماعية، أشكال تضامن، أحلام، إحساس بالانتماء إلى جماعة ما مختلفة عن جماعة أخرى، هذا الإحساس و الشعور بالانتماء إلى الطبقة العاملة لوحدها مثلا يكون من تداعياته التضامن بين الأقارب ، الجورة ، أصحاب الحي، المدينة والجهة...

المراجع:

1-DELIEGE Robert, Une histoire de l'anthropologie, écoles, auteurs, théories, éditions seuil, 2006.

2-KILANI Monder, Introduction à l'anthropologie, éditions Payot Lausanne, 1989.

3-LAPLANTINE François, L'anthropologie, éditions Petite bibliothèque Payot, 2001.

4-LOMBARD Jacques, Introduction à l'anthropologie, éditions Armand Colin, 2° édition, 1998.

المحاضرة الخامسة والسادسة:

- ما هي القاعدة الابستيمولوجية التي نأخذ بها؟

ففي تقديرنا لا مناص من الامتثال للقاعدة القائلة:«إن كل تصوير للواقع لا يمكن أن يكون إلا تصوير جزئي»؛ بمعنى أن الواقع المعيش هو دائما وأبدا أوسع من النظرية، من نموذج التحليل الذي يتبناه الباحث وأن ما يراه أو يعتقد فيه باحث عنصر أساسي بنيوي، قد يراه باحث آخر ثانوي وعابر، ولكن والأمر كذلك أي ونحن نعترف بشساعة وتعقيد الظواهر والتجارب الاجتماعية بجزئياتها اللا متناهية تقريبا لا يسعنا إلا الابتعاد عن الفكرة القائلة إننا لا يمكن فعل شيء أو الأخذ بالفكرة المعاكسة إنه باستطاعتنا قول كل شيء، بمعنى ضروري الأخذ بكل جزئيات الواقع الاجتماعي.

فمن خلال العدد الكبير للظواهر باتجاهاتها ومسالكها يجب على الباحث استخراج كما فعل ذلك «تومسن» (Tompson) «التوجهات الأكثر دلالة وتحديدا»[20].

[20] CAMPENHOUDT .Luc Van., Introduction à l'analyse des phénomènes sociaux, Ed. Dumond , 2012, p201.

لذا لا يمكن الوصول إلى هذا المبتغى إلا إذا آمنا بفكرة «أن المنتوج العلمي الجاهز المحصل عليه من وراء تحقيق ميداني يحتوي على نموذج تحليلي في مجموعه، هذا النموذج الذي ينظم تصور الباحث والذي يهدف أيضا إلى إعادة تنظيم رؤية القارئ»[21].

ضروري أن لا نخلط بين الأداة والمنهج، بمعنى نموذج التحليل أو شبكة التحليل؛ فمهما بلغت الأداة من قوة ومن استحسان لدى الباحثين فهي –حسب اعتقادنا– غير كافية، وبالتالي لا تخرج عن ما أسميناه بالثقافة العامة في المنهجية؛ كما لا يكفي أن نقول أننا وظفنا الأداة الكيفية واضعين على جانب الأداة الكمية (وهنا نفتح قوس لنقول أن الجدل القائم بين الكيفي والكمي جدل لا أساس له من الجدية العلمية). يمكن ذكر في باب الأدوات الكيفية في مقابل الأدوات الكمية (الاستبيان أساسا) على سبيل المثال، الاهتمام بالواقعي، الموازي، المعيش، اليومي والنوعي...ويتم البحث في ذلك باستعمال المقابلة بأنواعها، سيرة الحياة، الملاحظة بالمشاركة، الملاحظة السرية، الملاحظة التي يتردد فيها الباحث على الميدان بصفة منقطعة...تعد الملاحظة بالمشاركة من أفضل الأدوات وبخاصة في فترة التسعينات مهما الانتقادات التي وجهت لها.

إن أهم ما تقتضيه هذه الأخيرة عنصرا أساسيا يتمثل في إدراك المعطيات التي يمكن ترجمتها في التأثيرات السوسيو– ثقافية وحتى السياسية الخارجية، هذه التأثيرات الكلية على المجتمع وعلى الجماعات المعنية؛ فدون ذلك نعتقد أن الباحث يرجع من الميدان كما ذهب إليه في أسوأ الحالات، وفي أحسنها لا يتعدى أن يقوم بعمل إثنوغرافي لجمع وتصنيف المعطيات المجمعة أو مونوغرافيا، وفي هذا السياق يقول «ألان توران»: «ضروري من كل بحث التقيد بصياغة فرضيات عامة... وإلا أمكن لهذه الأبحاث أن تكون فقط مونوغرافيات مفصلة و بدون فائدة؛ لا تساهم بأي حال من الأحوال في دراسة المشاكل الرئيسية للمجتمع الصناعي»[22].

بإمكاننا الاستفاضة حول هذه النقطة بالذات، ومع هذا لا يسعنا إلا أن نستعين بمقولتين لـ «بيار بورديو»على

---

[21] - -Chapoulie In Masson., Faire de la sociologie : les grandes enquêtes françaises depuis 1945,oP. cit., p195.

[22] -Touraine A, In Ph. Masson, Ibid., p44.

لسان «فيلب ماسون»: «يريد بورديو التأكيد على أن لزارسفيلد (Lazarsfeld) نسي حسبه أن التحقيق الميداني هو أيضا علاقة اجتماعية وبالتالي ليس هناك معطيات نقية نحصل عليها فورا»[23].

ويضيف «ماسون»: «بالنسبة لبورديو وباسرون لا وجود لأسئلة وأجوبة حيادية، ولا يجب الاعتقاد أن الاستبيان يضمن الأجوبة. ليس هناك إذن معطيات نحصل عليها بطريقة فورية لأنها دائما تبين بواسطة الباحث»[24]. فمما هو معروف عن الأبحاث الامبريقية في مجملها لبورديو مثلا، أنها تضع مسألة الطبقات الاجتماعية في مركز عملية جمع المعطيات وتحليلها. فحتى الأداة الكيفية لا تخرج عن قالب الثقافة السوسيولوجية العامة في المنهجية إذا هي جانبت متطلبات الوجاهة العلمية السليمة.

ويبقى العمل الرابع (2008)، العمل الأهم حسب تقديرنا من بين الأعمال السالفة الذكر. يذكر في هذا الإنجاز العلمي ندير معروف الإشكاليات الأنثروبولوجية التي عالجت واقع المغرب العربي:

المجتمع القرابي (السلالة الأبوية).

المجتمعات الانقسامية وبخاصة طبيعة القبيلة في شمال إفريقيا مع كل من «جاك بارك» و«جرمان تيون».

المتغير الإرثي(الموروث)، المتغير الذي يسمح بالفصل بين الطبيعة الثقافية والدينية للزعامات التقليدية والطبيعة الإيديولوجية السياسية للزعامات الحداثية، أي كيفية إعادة إنتاج النظام الأبوي بخطاب سياسي حداثي، بمعنى التوظيف التعاقدي كشكل ودوام الأنماط الإقطاعية كبنية، مما يبين أن المجتمع التعاقدي ما هو إلا حيلة، بينما يعتبر المجتمع الحقيقي بمثابة التنظيم الاجتماعي الفعال، إنها الأطروحة التي كان من ورائها «كليفورد غرتس» (Geertz Clifford) .

وفي الاتجاه نفسه، تفيدنا الدراسات الأنثروبولوجية وبخاصة من خلال مدارسها على حد رأي «دولياج روبرت»[25] وقد تشترك معها الدراسات السوسيولوجية حول جوهر رؤيتها.

---

[23] -MASSON Ph., Ibid, P50.

[24] -Ibid. p94.

[25] - DELIEGE Robert., une histoire de l’anthropologie, Ed. du Seuil, 2006.

– المدرسة التطورية: تنطلق هذه المدرسة من مسلمة وحدة الجنس البشري، مما يدلل على الاهتمام بالتشابه ووضع على جانب الخصوصيات والاختلافات الثقافية، مما يستدعي توظيف المنهج المقارن أساسا.

– المدرسة الثقافوية: تمتاز هذه النظرية بموضوع بحث ينحصر في كيفية تطور مؤسسة ما تاريخيا.

– الأنثروبولوجيا الديناميكية: التي يتمثل موضوعها في مجموعة الاختلافات المكونة للعلاقات في نظام اجتماعي معين، ولكن يجب الإشارة إلى أن هذه الاختلافات تحمل دائما في طياتها توترات، إنه التكامل والتعارض في اللحظة نفسها.

– المدرسة الوظيفية: البحث في كيفية اشتغال مؤسسة ما، مع مكانتها ودورها في المجموع الاجتماعي.

– المدرسة البنيوية: البحث في كيف لمؤسسة أن أصبحت على ما هي عليه اليوم. ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن هذه النظريات الكلية التي انتشر صداها بقوة في السنوات ما بين الخمسينات وحتى السبعينات تراجع تأثيرها ابتداءً من الثمانينات حتى وإن لا زالت قائمة لتترك المكان للنظريات التي جوهر اهتمامها الفرد بوصفه وحدة التحليل الأقل حجما.